الفصل السادس والعشرون

الأخبار الجديدة عن وفاة أبي في الأردن وعن أخويّ الشابين اللذين لم نسمع بهما من قبل أخذت وقتاً كبيراً منا ومن أحاديثنا، ومن اهتمامنا في البيت.

أصبح واضحاً أن أبي حين احتلت الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧ خرج منها حياً إلى مصر، ومن مصر استقر في الأردن، حيث تزوج امرأة فلسطينية في مخيم البقعة وأنجبت له توأمين ماجداً وخالداً، وبعد ذلك بأيام استشهد أبي في الصدامات التي حدثت هناك وكبر خالد وماجد مع أمهما في الأردن، وقد توفيت أمهما قبل سنوات، وسوف يأتيان مع القوات الفلسطينية التي سيسمح لها بالدخول إلى غزة وأريحا ضمن الاتفاق.

لم نكن قبل هذه الأيام قد سمعنا شيئاً عن أبينا منذ الاحتلال، واعتقدنا أنه قد استشهد ومرة واحدة نجد أن لنا أخوين شابين وأنهما سيأتيان إلى غزة، وذلك يعني أنهما سينضمان إلى العائلة بصورة أو أخرى. أمي ظلت في حالة ما يشبه الهستيريا إلى عدة أيام، وبدت وكأنها تعيش صدمة نفسية وعصبية، يصعب تجاوزها، وقد انصب كل جهدنا أن نواسيها، وأن نحاول التخفيف عنها، فرغم غياب أبي طيلة تلك السنوات قرابة ثلاثة عقود، إلا أنها ظلت على أمل أن تجده في أحد الأيام حيا يدخل علينا الدار، أما أن يأتي لها خبر زواجه بأخرى وعدم اتصاله بنا لفترة حوالي أربع سنوات منذ مغادرته وحتى وفاته، وأن يصبح له أولاد من زوجة أخرى، وأن يأتي خبر وفاته، وبهذه الصورة، فقد كان من الصعب عليها احتماله.

حاولنا أن نقنعها أن تلك السنوات الأولى بعد الحرب كانت صعبة ولم يكن بالتأكيد قادراً على الاتصال بنا، على كل حال يرحمه الله، فقد أفضى إلى ما قدم، وحجته معه عند ربه ونحن الحمد لله كما ترين أصبحنا رجالاً، وها نحن نملأ سمعها وبصرها، ولا ينقصها شيء ونأتي لها بالقصص ومآسي الآخرين، ونقارن لها حالنا بحال الآخرين وأننا بألف خير، حتى بدأت حالتها بالتحسن والاستقامة بعض الشيء، ولكن كان من الواضح أنها قد ضربت الضربة القاسمة حيث أنها لم تعد بالنشاط والحيوية والقوة التي كانت عليها.

أحد الموضوعات الذي أخذ جزءاً من اهتمامنا في الدار واهتمام الشارع الفلسطيني في هذه الأيام هو كون الجنود الثلاثة الذين قتلوا في عملية حي الزيتون الأخيرة بغزة من الدروز، حيث إن عدداً كبيراً من الشباب الدروز قد التحقوا بحرس الحدود أو الشرطة أو مديرية السجون الإسرائيلية، وهم في عملهم يقومون بواجباتهم على خير ما يقوم به اليهود.